ندوة فهم السنة النبوية

الضوابط والإشكالات

الرياض . الخميس ١٤٣٠/٦/٤ هـ

المحور الثاني / الإشكالات المعاصرة في فهم السنة النبوية

- التأويل والتحريف .
- تقديم العقل على النص .

إعداد

معالي الدكتور /سعد بن ناصر الشثري

عضو هيئة كبار العلماء

فهم السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

جاءت النصوص الشرعية بإعمال العقل: (أفلا يعقلون)، وجاءت بالأمر بجعل الميزان بين عيني العبد، وقارنت بين الكتاب والميزان حتى في عرصات الجنة وفي النار يقول أهل النار (ولو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير).

ومن المسائل التي كثر فيها النقاش وطال الجدال حولها مسألة المقابلة بين النص والعقل وعندما يريد الباحث أن يتعرف على الأسباب التي أدت إلى هذا النزاع والخلاف يتوقف عند عدد من المسائل.

المسألة الأولى: مسألة معرفة حقيقة العقل فإن كلمة العقل لم يقع اتفاق على تحديد مفهومها فهل يراد بالعقل الغريزة التي يستعد بها الانسان لقبول العلوم النظرية وتدبر الأمور الخفية بحيث يقصد المنافع دون المضار أو أن العقل يراد به ما يحصله الإنسان من العلوم بواسطة التفكير والتدبر وما يستفاد من التجارب أو يراد بالعقل العمل بموجب تلك العلوم ونتيجة لحصول هذا الخلاف في مفهوم العقل تباينت الجهات فيما يكون مصادقاً للنص وما لايكون كذلك.

المسألة الثانية: هل كل ما ينسب إلى العقل يكون متفق عليه بين العقلاء أنه عقلي، أو أن هناك تفاوت في عقول الناس فيما يقبلونه وينسبونه إلى العقل وبالتالي لا يكون هناك اتفاق إذ إن من الملاحظ أن ما يجزم الإنسان به ويقطع بأن العقل يدل عليه يخالفه غيره ويرى أن العقل يدل على خلافه بل إن الإنسان قد يجزم ويقطع بأن الدلالة العقلية تدل على شيء في زمن ويجزم مرة أخرى في زمن آخر بأن العقل ينافي هذا المدلول ومن هنا ذكر أهل العلم أن الوهم في العقليات أمر وارد وذكروا بأن الشبهات والشهوات أيضاً قد تؤثر فيما ينسب إلى المدلول العقلي ومن هنا كثر النزاع بين العقلاء في

الأمور العقلية مع فرط ذكائهم ووصولهم إلى مراحل وصرفهم لأوقات كثيرة لتدبر المعقولات.

المسألة الثالثة: أن المعارف العقلية أكثر من أن يحصيها الواحد من الناس أو يحيط به الجماعة من الخلق والعقل البشري لا بد أن تخفى عليه كثير من العلوم وجوانب من كثير من القضايا العقلية التي يتدارسها الناس ومن هنا كان العقل البشري يجهل كثيراً من المسائل ولو كانت قريبة منه ومن أعظم الدلالة في هذا جهل الإنسان كل الجهل بأمر روحه التي بين جنبيه مع كونها لا تزال تلازمه ولا تفارقه.

المسألة الرابعة:

أن النصوص الشرعية ليست نصوص مجردة عن الدلالة العقلية بل النصوص الشرعية تتضمن أعلى الدلالات العقلية المقنعة في المباحث الشرعية الدينية ومن هنا فإن النصوص الشرعية كتاب وسنة فيهما من الدلالة العقلية والبراهين اليقينية ما تذعن له النفوس الطالبة للحق.

بل إن من تأمل وجوه دلالة الكتاب والسنة علم أنهما قد جاءا بخلاصة الدلالة العقلية الصافية عن الكدر.

المسألة الخامسة: أن إنكار بعض الطرق العقلية لا يعني إنكار الدلالة العقلية مطلقا، فكوننا نقول بأن هذه الدلالة التي تنسب إلى العقل ليست دلالة صحيحة أو غير منتجة للمعلومة المطلوبة لا يعني أننا ننفي دلالة بقية الطرق والدلالات العقلية.

المسألة السادسة:

أن كثير من الأدلة العقلية يكتنفه من الغموض والخفاء ما يجعل كثير ممن يسلك هذه الطرق ينقطع قبل الوصول إلى المعلومة التي يطلبها. وبالتالي يصل إلى معلومة خاطئة أو يصل إلى نتيجة خاطئة لا يوصل إليها الدليل.

والتأخر في الأدلة العقلية ربما خطر له من أنواع الشبهات وما يحسبه أدلة. لأن القلوب تتعطش إلى الوصول إلى المعرفة والحقيقة.

المسألة السابعة:

أن النصوص الشرعية تأتي بأشياء لا تهدي إليها العقول ولكنها لا تأتي بأشياء تنافي العقول وتخالف العقول، وهذا ما يعبر عنه بعض أهل العلم بقوله يأتي الشرع بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

الشرع يأتي بأشياء لا يصل إليها العقل لكن لا يأتي بأشياء تنافي المدلول العقلي.

في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدلة العقلية الشيء الكثير مما يجعل العقل يذعن لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الطرق الواردة في لسنة هي الطرق العقلية القريبة إلى العقل والسهلة التناول والتي تعتبر أقل تكلفاً وأظهر في الحجة وأعظم في النفع فالرسول صلى الله عليه وسلم ضرب للناس الأمثلة العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف وأرشدهم إلى ما يعرفون به العدل ويعرفون به الأقيسة العقلية الصحيحة التي يستدل بها في المطالب الدينية.

إذا نظر الإنسان في تواريخ الأمم وجد أن جميع الأمم التي ضلت الطريق تزعم أن لهم العقل وأن لهم الرأي والقياس العقلي ويسمون أنفسهم الحكماء.

بينما تجدهم يصفون أتباع الرس بأوصاف غير مقبولة، جعلوهم الأرذلين، جعلوهم السفهاء، جعلوهم الضلال ولا يزالون يستمدون من معقولاتهم واستدلالاتهم ومن أقوالهم.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى/ العقل يدرك الأشياء من وجه دون وجه وعلى حل دون حال والبرهان على ذلك أحوال أهل الفترات فإنهم وضعوا أحكاماً على العباد بمقتضى السياسات لا تجد فيها أصلاً منتظم

وقاعدة مطردة بل استحسنوا أموراً تجد العقول بعد تنورها بالشرع تنكرها وترميها بالجهل والضلال والبهتان والحمق.

شهدوا هذا في عصورنا الحاضرة نجد أن النظم المعاصرة تستعين بصفوة أصحاب العقل والفكر ليسوغوا خلاصة عقولهم في هذه التشريعات الوضعية التي يحاولون جعلها تحكم علاقات الناس ويحسبون أن ما استقروا عليه هو الصواب الذي لا يخطئ والعدل الذي لا يجوز ويفرحون بذلك أشد الفرح ويظنون أنهم تهيء لهم من النجاح ويتحقق عند تطبيق هذه الأنظمة من كسب السعادة ما يصل إلى الدرجات ثم لايمضي زمن بعيد حتى ينكشف القصور الذي لم يكن في الحسبان والخطأ الذي لم يوضع له الاحتياط الملائم فيسرعوا لتغيير ما أحكموه ويظنون أن التعديل الجديد هو الملائم وهو الموافق للمعقول والمحقق للمصالح المراعي للحاجات ثم بعد ذلك عما قريب يتبين لهم قصورهم وهكذا يتبين للناس أن العقول تحتاج إلى الاستنارة بالنصوص الشرعية فالمقصود أن القاعدة الشرعية، أن النصوص كتاباً وسنة جاءت بأعلى درجات المعقولات ولم يكن في النصوص أي معارض لعقل صحيح وإنما التعارض يكون بينما يظن أنه عقل وهو في حقيقة الحال وهم مجرد.

وأسأل الله وعلا أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى هذا والله أعلم وأشكر صاحب الفضيلة والمعالي شيخنا الشيخ صالح على متابعته للأعمال الشرعية الإسلامية كافة ودعمه لها ومن ذلك متابعته لهذه الندوة، كما أشكر القائمين على تنظيم هذه الندوة والمشاركين والحاضرين وأسأل الله جل وعلى للجميع التوفيق لخيري الدنيا والآخرة، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.